ويسوقنا الحديث إلي رفقاء السوء

بداية نؤكد على حقيقة هي أن الطفل أو الشاب لا يستطيع أن يعيش بمعزل عن أقرانه هؤلاء القرناء منهم الطيب المعتدل سلوكاً وخلقاً . وأمثال هؤلاء نشجع أولادنا على صحبتهم والتأثر بهم وذلك يعد هو لا يجيب التعرف عليهم من خلال الأسرة ومن خلال ما يحكيه الولد عنهم ومنهم رفقاء السوء اللذين يشكلون خطورة على الطفل والمراهق أيضاً ويؤكد علماء النفس " أن جماعة القرناء تؤثر على نمو الطفل الاجتماعي ويري فيها الطفل النموذج الذي يجب أن يتبعه حسناً كان أو سيئاً " (١٨) .

ويلعب رفقاء السوء دوراً مهما في انزلاق الطفل صوب الانحراف أيا كان نوعه وقد أثبتت الدراسات الخاصة بجنوح الأحداث أن تفاقم هذه الظاهرة يرجع إلي تمسك الحدث برفاقه وإصراره على البقاء معهم وعدم عودته إلي البيت فهم يتسللون إلي عقله وقلبه . ويشبعون لديه ما قد يكون مفقوداً لدي أبويه . ومن ثم نراه يتحمل ضراوة الحياة مع تلك الرفقة دون إكثرات أو مبالاة وذلك بفضل التأثير النفسي عليه " (١٩) .

ويأتي دور المدرسة

يمثل إلحاق الطفل بالمدرسة مرحلة هامة في حياته فيها يتألف مع صحبة جديدة الرفاق ينتمون إلي بيئات مختلفة الطباع العادات تؤثر تأثيراً بالغاً في توجيه سلوكه .

" وإذا كان خطر البيت ينحصر في أن الصبي فيه كالعجينة الرخوة فإن أهمية المدرسة تظهر في أنها الفترة الحرجة فترة الطفولة والمراهقة حيث تتفتح المواهب وتستيقظ الميول باحثة

عن الطريق الذي تعبر فيه عن نفسها وتنتشي الغرائز والطاقات المختلفة تلح في التنفيس عن ذاتها " (٢٠) .

ولا يقتصر دور المدرسة على ذلك بل يتعداه إلي علاقة التلميذ بمعلمه ومدي التوجيه الذي يقوم به المعلم مع طلابه . وأيضاً المعاملة التى يتعامل بها إلي جانب كونه قدوة لهم في العلم والسلوك معاً .

ومن الطبيعي أن ينتظم الطفل في المدرسة ولكن من غير المألوف أن يهرب منها . قد يحدث ذلك من جراء قسوة المعلم وعقابه الشديد بطلابه أو ربما تتفق جماعة منهم على الهرب أو ما يسمي " بالتزويغ " لقضاء الوقت في الشوارع أو ارتياد أماكن اللهو . وقد يتطور ذلك إلي ممارسة سلوكيات ضارة وشاذة خاصة إذا اتفقت رفقه السوء على ذلك .

ما يعنينا هو التنبيه على ضرورة وجود علاقة بين الأسرة والمدرسة تقوم على المتابعة اليومية بين الطفل . وإدارة المدرسة أيضاً وحينما تتخلي الأسرة عن المتابعة والتواصل بينها وبين المدرسة يصبح الأمر غاية في الخطورة ويؤكد على النفس " أن الهرب من المدرسة أو المنزل تحت وطأة التأثير النفسي للعقاب الشديد يدفع الطفل إلي أعمال عدوانية تمثل شكلاً من أشكال العنف الاجتماعي (٢١) .

ونخلص من هذا بنتيجة هي أن انشغال الأبوين عن متابعة أولادهما داخل المنزل وخارجه يمثل إهمالاً في التربية وتقاعساً

عن المسئولية فضلاً عن النتائج التي تجنبها الأسرة ومن أبرزها تفكك أواصرها وتقويض بقائها .

المعالجة

١ – أجاز الإسلام للمرأة أن تعمل بشرط أن لا يتعارض ذلك العمل مع وظيفتها الأساسية وهي الأمومة . فالأم حاضنة ومربية وهي مصدر الإشباع العاطفي لأولادها والمصدر الأول لتربية الطفل وتهذيبه .

٢ – إذا كان عمل المرأة ضرورة تستوجبها ظروف الأسرة ويتطلبها الواقع الاجتماعي فعلي الأم أن تسلم طفلها إلي يد أمينة صالحة تقوم بحضانته وتحسن تربيته ولن يتأتى ذلك إلا بحسن الاختيار " فإذا أهمل في بدء نشأته خرج غالباً رديء الأخلاق كذاباً سروقا ذا فضول ومجانه " (٢٢) .

٣ – أثبت الواقع الحياتي أن عمل المرأة يكلفها جهداً جسمانياً وتعباً نفسياً ومعاناة يومية وهي أمور تنأى بها عن واجبات الأمومة ولا يمكن معها متابعة الأولاد في التربية والسلوك فضلاً عن تلك الخلافات الزوجية التي يستعر أوارها بين الفينة والفينة نتيجة إهمال المرأة العاملة بطلبات زوجها وغالباً ما يؤدى ذلك إلي تحطيم جدار السكن النفسي بينهما فتتلاشي المحبة وتتبدد الرحمة ومن ثم تصبح العلاقة بينهما فاترة تهددها عواصف الخلافات بينهما .

٤ – على الأسرة أن تضع في اعتبارها المقارنة بين زيادة الدخل المادى وإهمال تربية الأولاد بحسابات لا تخضع لطموحات مادية فإن استطاعت الموائمة بين المادة والتربية فلا حرج في ذلك .

٥ – كثيراً ما يكون الدافع لعمل المرآة إثباتاً لذاتها وتحقيقاً لنزعاتها النفسية ومتطلباتها الشخصية وطموحاتها في الحياة بغض النظر عن تربية الأولاد وإعدادهم إعداداً جيداً .

هنا تخطئ الأم ويخطئ معها الأب أيضاً فكلاهما مسئولان أمام الله عز وجل عن تربية الأولاد

يقول (ﷺ) : " ما نحل والد ولده أفضل من أدب حسن "

إن الإسلام يحمل الأبوين المسئولية عن تربية الأولاد وكما يقول ابن القيم " من أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدي أساء إليه واكثر الأولاد إنما جاء شرهم من قبل الآباء وإهمالهم لهم"(٢٣) .

٦ – على الآباء أن يشغلوا أوقات فراغ أبنائهم بما يعود بالخير عليهم مثل تشجيعهم على الرياضة وركوب الخيل والسباحة يقول (ﷺ) : " علموا أولادكم السباحة والرماية وركوب الخيل "

وعليهم أيضا مراقبة الأولاد في أوقات فراغهم والتعرف على رفقائهم وإبعادهم عن السيئ منهم وتنمية المهارات العقلية لديهم .

٧ – على الوالدين متابعة أولادهما في المدرسة وإقامة جسر بينهما وبين البيت لا يقتصر على المواد التعليمية فحسب وإنما يتعداه إلي التعرف على أخلاق الأولاد داخل المدرسة والسلوك الذي يمارسونه من خلالها فالمسئولية مشتركة بين المدرسة والبيت وإذا اختل التعاون بينهما هدمت المدرسة مايقوم البيت ببنائه والعكس .

٨ – على الآباء أن لا يجرفهم طغيان المادة والمتطلبات الحياتية وما تحمله من طموحات مستقبلية للأولاد على حساب تربيتهم وأخلاقهم فإعداد الولد الصالح النافع المتخلق بأخلاق الإسلام . هو خير من كنوز الدنيا بأسرها .

هذه حقيقة وإن تغاضي عنها الكثير في ظل اللهث المحموم وراء المادة وحساباتها .

٩ – وأخيراً فإن التربية مسئولية تنبع من داخل الأبوين حيال أولادهما .

فقد تعمل المرأة وتحسن إلي أولادها في التربية والسلوك القويم في موائمة بين المتطلبات الحياتية الملحة وبين الواجبات التربوية المقدسة حيال الأبناء .

وقد تقر المرأة في بيتها وقد استبد بها الإهمال وتملكها الجهل وغلبت عليها السلبية المقيتة فبددت أوقاتها بين مجالس أقرانها وعدم الاستقرار في البيت والاعتماد على الخادمة أو "المربية" في تربية الأولاد .

ومثل هذه لا تساوي شيئاً في ميزان الأمومة إن إدراك تبعات المسئولية هو المحور الذي تركز عليه التربية .

المبحث الرابع

الانحراف الأسري

تحدثنا – فيما سبق – عن أبرز المشكلات التي تسهم في ظاهرة التفكك الأسري وفي هذا المبحث نتناول عاملاً من أقوى العوامل وأشدها تأثيراً في تمزق الأسرة وتفككها إلا وهو الانحراف الأسري .

هذا الانحراف المدمر لكيان الأسرة تتجسد مظاهره في إدمان المخدرات والمسكرات وممارسة الجنس غير المشروع أو " السعار الجنسي " وممارسة الجرائم وسوء الخلق .

هذه الأنماط السلوكية الشائعة تمارس داخل محيط الأسرة يمارسها الأب غالباً وقد تمارسها الأم . ومن الطبيعي أن يمارسها الأولاد أيضاً .

وهي سلوكيات شاذة تخالف الفطرة الإنسانية السليمة ولا شك أن السلوك الواحد منها كفيل بتدمير الأسرة وتمزيق وشائجها

الإدمان :

يمثل إدمان المخدرات والمسكرات معول هدم في بناء الأسرة لما له من آثار عنيفة مدمرة وقد حرم الإسلام الخمر تحريماً صريحاً ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلاَمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ (٣٦).

ويقول (ﷺ) اجتنبوا الخمر فإنها أم الخبائث .

" والخمر ما خامر العقل وهذه كلمة منيرة قالها عمر بن الخطاب من فوق منبر النبي (ﷺ) فكل ما لابس العقل وأخرجه عن طبيعته المحيزة المدركة فهو حرام ومن تلك المواد الحشيش والأفيون وغيرهما من بقية المسكرات الأخرى " (٢٣)

وغني عن البيان ما تحدثه تلك المسكرات من تدمير للعقل وإنهاك للجسد . وأيضاً تساهم المخدرات بشكل مباشر في التفكك الأسري وتشرد الأطفال فضلاً عن تصدع المجتمع " فالمخدرات – كما يقول علماء الجريمة – تنال من إمكانات المدمن وتفقده ملكتي الإدراك والإرادة بشكل يؤثر على سلوكه " فيدفعه إلي تصرفات تمثل سلـــوكاً إجرامياً تزداد خطورته لدي بعض المدمنين (٢٤) .

وقد أثبتت الدراسات التحليلية أن الإدمان يؤثر سلبياً على العلاقات الأسرية بصورة عامة سواء كانت بين الزوجين أو بين الأبناء وآبائهم وتزداد هذه الصورة وضوحاً في أشكال السلوك العدوانية التي قد يسلكها المدمن تجاه باقي أفراد أسرته مما قد يؤدي بدوره إلي ضعف الروابط الأسرية وحدوث تفكك وانهيار في كيان الأسرة (٢٥) .

العلاج

١ – تعميق الوعي الديني في نفوس الناس وتبصيرهم بشناعة هذا الإدمان والآثار المترتبة عليه فالمخدرات مفتاح كل شر .

٢ – تتحمل الأسرة المسئولية الكاملة عن وقاية أبنائها من هذا الشر المستطير وذلك من خلال غرس الفضائل الخلقية والمتابعة الدقيقة لسلوكهم خاصة مع رفقائهم .

٣ – على الأسرة أن تتعامل مع المدمن الحديث من أبنائها بنضج عقلي . فلا مجال للعقاب أو اللوم حتى يتم العلاج وإلا فشلت الأسرة في إنقاذ المدمن وعلاجه .

٤ – على المؤسسات التعليمية تكثيف البرامج والمحاضرات لتوعية الطلاب بمخاطر الإدمان وآثاره المدمرة

٥ – على وسائل الإعلام الكف عن البرامج الحافلة بالجريمة والجنس وإدمان المخدرات وبدلاً من ذلك . تخصص برامج للتوعية من هذا الوباء .

٦ – على المؤسسات الحكومية التصدي لظاهرة الإدمان ومحاربة من يتاجر فيها ومعاقبته .

٧ – الحذر من أسباب الإدمان ودوافعه مثل المشاركة في المناسبات الاجتماعية ومصاحبة رفقاء السوء وقد وضح من دراسة " ميدانية أن رفقاء السوء من أقوي الأسباب الدافعة للإدمان " (٢٦) .

السعار الجنسي

هو استيداد الغريزة الجنسية بالإنسان وطغيان شهواتها الجامحة في نفسه والرغبة في إشباعها .

والغريزة الجنسية من الغرائز التي أودعها الله عز وجل في النفس الإنسانية وشرع لها ما يشبعها ويبدد طغيانها وهو الزواج الذي يعصم الإنسان من التردي في الرذيلة .

وحينما يتنكب الشاب أو رب الأسرة الطريق المشروع لإشباع غريزته الجنسية ويتجه إلي طرق أخرى بغيضة مثل الزنا واللواط وغيرهما من الممارسات الشاذة فإن ذلك يدمره . ويدمر أسرته .

وثمة دوافع لتلك الممارسات البغيضة على رأسها الانسلاخ من تعاليم الدين والتفسخ الخلقي والانحطاط السلوكي للأسرة . فضلاً عن وجود المثيرات المهيجة للجنس مثل الأفلام الجنسية والمجلات الخليعة والأماكن المخصصة لتلك الممارسات والسفر إلي خارج البلاد لممارسة تلك الرذائل في حرية كاملة الدوافع كثيرة لكن الاستجابة إليها لا تتم إلا في غيبة الدين وسبات الضمائر .

وتتفاقم خطورة هذا السعار الجنسي حينما يمارسه رب الأسرة وقد ترك زوجته وأولاده وهام على وجهه بين إدمان المخدر وممارسة الجنس المحرم دون اكتراث لمتطلبات الأسرة المادية والتربوية لتكون المحصلة في النهاية أولاداً يمارسون تلك

الرذائل وربما تندفع الأم إلي تلك الممارسات حينذاك لم يتبق لهذه الأسرة المنكوبة سوي الاسم فقط فقد انهارت مقوماتها وتحطم بنيانها رأساً على عقب .

المعالجة

١ – اغلق الإسلام الأبواب المؤدية إلي الزنا فحرم على المسلم الخلوة بالأجنبية يقول (ﷺ) " لا يخلون رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما " وأمر المسلم بغض النظر عن النساء المحرمات

يقول تعالي:﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾ (٣١) .

٢ – حرم الإسلام الزنا واغلظ في عقوبته جلداً لغير المحصن ورجما بالحجارة للمحصن ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴾

ما شرعه الإسلام يمثل في جملته وقاية من غوائل تلك الممارسات قبل وقوعها .

٣ – حرم الإسلام اللواط باعتباره جريمة بشعة وعملاً خبيثاً يمثل انحرافاً عن الفطرة السوية .

٤ – رغب الإسلام في الزواج وحث عليه وتصدي للعراقيل التي تقف أمامه مثل المغالاة في المهور وأثاث الزوجية " فأقلهن مهوراً أكثرهن بركة " كما يقول (ﷺ) .

٥ – قدم الإسلام لمن لم يستطع الزواج حلاً مؤقتا يعينه على حسن التكيف مع غريزته وهو الصيام ففيه عبادة تكسر حدة تلك الغريزة وتساعده على كبح جماح نفسه إلي جانب ما يجنيه منها وهو الثواب من الله عز وجل يقول (ﷺ) " يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء "

وهكذا عالج الإسلام السعار الجنسي وأغلق الأبواب أمامه

من أنماط الانحراف الأسرى

سوء الخلق وممارسة الجريمة

في ظل سوء الخلق يبدأ الانحراف وتمارس الجريمة ويفقد الإنسان إنسانيته .

فالأخلاق الحسنة هي مجموعة من المبادئ والقيم السلوكية والوجدانية التي يجب أن تسود في الأسرة يتلقفها الطفل منذ تمييزه وإلي أن يشب عن طوقه .

وفي المقابل نجد مساوئ الأخلاق يتمرس عليها الطفل من خلال أبويه فيغدوا – بداهة – سيئ الخلق مثلهم .

فالأسرة هي محضن العلاقات الإنسانية والمصدر الأول لعادات الطفل وأخلاقه فإما أن تغرس فيه محامد الأخلاق وفي المقابل تدفعه إلي مساوئها وحينما يضعف الوازع الخلقي في نفوس الآباء فإن ذلك سيؤثر بالطبع على سلوك الأبناء فالطفل

يقلد أبويه ويحاكيهما في الأخلاق والعادات يري في أسرته المرآة التي تحدد نزعاته السلوكية واتجاهاته وميوله .

وتنتقل الأخلاق السيئة إلي الطفل من خلال الأسرة ممارسة وسلوكا وتشجيعاً أيضاً على أن سوء الخلق لا يقتصر على الإطار الأسرى المحدود بل يتعداه إلي المحيط الاجتماعي فيعكر صفوه ويسمم أجوائه وينتشر الرذائل بين جنباته وليت الأمر يقتصر على ذلك . بل يتعداه إلي ممارسة الجرائم بألوانها المختلفة الأمر الذي يهدد سلامة المجتمع ويؤثر في قوته وتماسكه .

وقد أكد علماء النفس والجريمة أن الظواهر الإجرامية التي تسود المجتمع ما هي إلا حصاد للأخلاق السيئة والسلوكيات المرذولة التي تمارسها بعض الأسر في غياب الدين والضمير معاً .

علاقة الأسرة بالسلوك الإجرامي

أما علاقة الأسرة بالسلوك الإجرامي فإنها تتخذ واحداً من مظاهر ثلاثة كلها تتركز حول إجرام المنزل وحقيقة ما يلعبه من دور يجعل منه المصدر الأساسي لإجرام الأبناء

وأول هذه المظاهر يتمثل في التنشئة الإجرامية التي ترتكز على طرق ثلاثة أولها يعتمد على قيام الأسرة بتقديم النماذج

الإجرامية المختلفة من بين الأبوين أو الاخوة إلي بقية أفراد الأسرة فيتغذى الطفل على مائدة الجريمة ويتنفس سمها .

وثانيهما : ما يقوم به البيت من تهيئة المناخ الإجرامي بشكل يساعد على رؤية الطفل لهذا السلوك الإجرامي وانغماسه في تربيته فيتعود عليه

وثالث:تلك الصور تتمثل في نشوء الطفل في أسرة تستمرئ نتائج الجريمة وتستعذب ثمارها بشكل واضح يلحه الطفل في حياته اليومية ويزيد من قدر إغرائه بها وانجذابه إليها باعتبارها قد أصبحت طريقة مثلي في الكسب والحياة وقادرة على الوفاء بحاجات الفرد بسهولة ويسر وتحظى بالقبول من الوالدين .

بينما المظهر الثاني لدور الأسرة في غرس السلوك الإجرامي وتعميقه فإنه يتمثل في عملية التحريض الإجرامي وذلك بقيام الأبوين أو أحدهما بحث الأبناء على ارتكاب الجرائم وحملهم على اختيار طريقها " (٢٧) .

وهذا يؤكد لنا أن الأسرة هي المصدر الأول والمباشر لتنمية الجريمة في نفوس الأبناء .

أما المصادر غير المباشرة فترجع إلي بعض الأسباب التي عرضنا لها في ثنايا البحث والتي تفضي إلي التفكك الأسرى وتؤثر تأثيراً غير مباشر في ارتكاب الجرائم .

ومعالجة تلك الظاهرة الخطيرة لدي بعض الأسر يتطلب جهوداً مضنية صادقة من المجتمع بأسره لمحاربة تلك الظاهرة وإخماد نيرانها والقضاء عليها .

ولن يتأتى ذلك إلا من خلال تضافر أجهزة المجتمع ومؤسساته في القضاء على تلك الظاهرة .

ومن المؤسف أن نقرر حقيقة نعايشها عن كثب وهي وجود التناقض والتباين بين أجهزة المجتمع ومؤسساته .

فهناك يد تبني . ومعول يهدم . جهود تسعي للإصلاح وأخرى تضع العراقيل أمامها .

ولن يتحقق للمجتمع ما يرنوا إليه من استقرار وأمن وطمأنينة إلا إذا تضافرت الجهود وحسنت النوايا واستشعر الجميع أنهم جسد واحد يؤثر العضو الفاسد فيه فيضعف قوته . ويبدد طاقته . وقد يدمره في النهاية والعياذ بالله .

المبحث الخامس

أجهزة الإعلام

من أهم الأسباب التي تؤثر في التربية السلوك وسائل الإعلام .

والإعلام له وجهان :

فقد يسموا بالإنسان ويرقي به ويؤثر في سلوكه وثقافته ومعارفه . هذا واقع ولكن نسبته ضئيلة وقد يصل به إلي درجة الانحطاط السلوكي والفوضي الخلقية والتطرف والعنف وهذا هو الغالب على أجهزة الإعلام ومن أبرزها وأهمها "التلفاز" فهو اكثر فاعلية وأشد تأثيراً في نفوس المشاهدين أطفالاً وكباراً .

وتكمن خطورة هذا الجهاز في كونه لا يقيم حواجز بينه وبين المشاهدين .

ومن ثم فهو يمثل السلطة الضاغطة في تربية الطفل وتشكيل سلوكه ومن سلبياته أن كثيراً من برامجه تدفع المشاهد إلي التمرد على قيم المجتمع الدينية والأخلاقية وتحاول محو العادات والأعراف والتقاليد الاجتماعية الحسنة واستبدالها بأخرى مستوردة . هنا تكمن خطورة الانسلاخ من القيم الصحيحة والانغماس في سلوكيات أخرى تنافي مع مبادئ الدين وقيم المجتمع الخلقية .

ولهذا الجهاز الخطير علاقة وثيقة بالانحلال الخلقي وممارسة الجريمة وألوان العنف المتعددة في المجتمع .

فالأطفال يلتقطون منه الكثير من جرائم العنف التي تعرض عليهم ثم يحاولون تقليدها دون وعي أو تفكير وبشكل قد يورطهم في العديد من الجرائم وبعض البرامج تحاول إبراز مدي السهولة واليسر في ارتكاب الجريمة من خلال عمل فني تنطلق طبيعة هذا العمل ونجاحه وهذا بالطبع يغرى المشاهد بمحاولة تجربته وقد ينفذه بالفعل .

وإلي جانب ذلك فإن المبالغة في تصوير آثار الموقف الإجرامي في المسلسل دون وضع نهاية للجزاء الرادع لمقترف الجريمة تمثل إعجاباً لدي البعض خاصة ممن لديهم ميول إجرامية فهذا يحفزهم على ممارسة الجريمة . ناهيك عن عما تحمله بعض البرامج من دعوة إلي السفور بأسلوب عملي وأيضاً دعوة إلي التمرد على الأسرة فهناك من البرامج ما يصور القيم السيئة والأخلاق المرذولة بأنها أمور واقعية في الحياة لابد أن يرضخ لها الجميع " (٢٨) .

وتؤكد الدراسات النفسية " إنه كلما كثرت مشاهدة الأطفال لبرامج العنف ازدادوا تقبلا للسلوك العدواني الذي يصبح أمراً طبيعياً عندهم وبالتالي تزداد أعمال العنف لديهم " (٢٩) .

من هذا تبرز لنا خطورة هذا الجهاز ومدى تأثيره في نفوس المشاهدين وعقولهم .

المعالجة

١ – لابد أن يدرك القائمون على أجهزة الإعلام المسئولية أمام الله تعالي . وأن يراجعوا ضمائرهم حيال ما يقدمون من برامج ومسلسلات تمثل معاول هدم في بنيان الأسرة فضلاً عن التصدع الاجتماعي وشيوع العادات المستهجنة فيه يقول (ﷺ) : " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته " و " الدال على الخير كفاعله . والدال علي الشر كفاعله "

٢ – مراجعة جميع البرامج والمسلسلات قبل تقديمها للمشاهدين وحذف ما يسئ إليهم منها .

٣ – زيادة الجرعات الدينية في خطة البرامج فهي قليلة والقليل منها لا يؤدي دوره المنشود فالمطلوب هو المزيد من البرامج الدينية والمسلسلات التي تصور البطولات الإسلامية والمواقف التاريخية والدروس المستفادة منها .

٤ – ترسيخ القيم الدينية والخلقية في نفوس المشاهدين من خلال الأحاديث الدينية والندوات والمحاضرات .... الخ . وبأساليب جديدة تبصر المشاهد بسهولة الدين ويسره وترشده إلي أحكامه السديدة بعيداً عن النزعات المذهبية والأدواء الأخلاقية والتي غالباً ما ينأى المشاهد عنها فهو يريد التعرف على دينه من خلال أساليب مبسطة تمزج الترهيب بالترغيب وتبصر أولئك العابثين بقيمة وأحكامه علهم يثوبون إلي رشدهم .

٥ – على الأسرة أن تراقب أولادها فيما يشاهد من برامج وأن يكون الأبوان قدوة لأبنائهم في هذا الأمر ولئن كان منع الأولاد عن المشاهدة أمراً لا يجدي نفعاً وله مردود عكسي في نفوسهم فإن التوجيه المستمر بالحكمة والموعظة الحسنة وتبصر الأبناء بالحسن والقبيح هو خير وسيلة لصرفهم الأبناء عن مشاهدة تلك البرامج السيئة .

٦ – تشجيع إنشاء القنوات الإسلامية وتوفير الاعتمادات الخاصة لكي تنهض بأداء رسالتها على أكمل وجه .

٧ – على علماء المسلمين التصدي لما يعرض في تلك الأجهزة وتبصير الناس بمخاطرها وآثارها السيئة مع مراعاة الواقعية في المعالجة . فهناك من العلماء من يغلق الأبواب ويقطع بتحريم المشاهدة كلية وهذا يصادم الواقع الحياتي . فضلاً عن أن الإسلام لا يرفض التسلية المحببة إلي النفس والتثقيف العلمي الهادف والبرامج التي تشجع على ممارسة الرياضة وتحث على مكارم الأخلاق .

ومن ثم يعالج الداء بالدواء

المبحث السادس

ظاهرة التشرد بين الداء والدواء

يمثل جنوح الأحداث نوعاً من الانحراف السلوكي داخل المجتمع يؤثر في مظهره الحضاري ويعمق السلوك الإجرامي بين جنباته .

والطفل الجانح هو الذي لم يبلغ بعد سن النضوج العقلي يهرب من البيت بدافع مؤثرات عديدة عرضنا لأهمها في ثنايا البحث – لينضم إلي أمثاله من الجانحين لممارسة أنماط من السلوك الإجرامي كالسرقة والتسول والنهب وبيع المخدرات والشذوذ الجنسي ... الخ .

وعند عدم قدرة الجانح على تلك الممارسات يكتفي بامتهان أعمال حقيرة مثل تنظيف زجاج السيارات وجمع القمامة وبيع المناديل الورقية بين إشارات المرور .

وتتفشى الظاهرة الإجرامية بين الجانحين بسبب مساعدة المجرمين من الكبار لهم وتدريبهم على العديد من الجرائم . وكثيراً ما يتم تكوين " عصابات إجرامية " من خلال الجانحين أنفسهم يقلدون فيها الكبار في التخطيط والتنفيذ .

وقد أبرزنا فيما سبق أسباب تلك الظاهرة من خلال حديثنا عن التفكك الأسري ويمكن إجمال تلك الأسباب في وجازة

أولاً الأسباب البيئية وتتمثل في

أ – الفقر والبطالة . ب – انهيار الأسرة بسبب انفصال الزوجين . ج – الترف المفسد والقسوة المفرطة في المعاملة . د – التفرقة في المعاملة بين طفل وآخر .

ثانياً : انهيار الأسرة أخلاقياً وسلوكياً ويتمثل في :

أ – سوء الخلق لدي الأبوين . ب – الإدمان . ج – تشجيع الأطفال على ممارسة الجريمة د – ممارسة الأسرة للجريمة .

ثالثاً : العوامل البيئية خارج البيت وتتمثل في :

أ – إهمال تربية الطفل وعدم مراقبته ومتابعته أحواله خارج المنزل وتركه فريسة لرفقاء السوء . ب – استغلال الطفل لوقت الفراغ استغلالاً سيئاً ج – عدم متابعة الطفل داخل المدرسة والتعرف على المشاكل التى تعترضه .وإيجاد الحلول لها .

رابعاً : العوامل النفسية وتتمثل في عدم إشباع الطفل لحاجته العاطفية والوجدانية وعجزه عن التكيف الاجتماعي السوي مع أسرته وأقرانه مما يؤثر على نفسيته ويدفعه إلي التمرد والهروب من البيت وقد يصاب بعقدة نفسية تدفعه إلي الانفصام عن الجميع .

آثار تلك الظاهرة :

١ – تؤثر تلك الظاهرة – كما اسلفنا – على المظهر الحضاري للمجتمع وهي مؤشر سيئ يعطي انطباعاً بانعدام الضوابط السلوكية فيه واتسامه بالإهمال والتسيب .

٢ – تؤثر تلك الظاهرة على أمن المجتمع واستقراره بما لها من آثار سيئة كالتسول وممارسة الجريمة .

٣ – لا شك أن شيوع هذه الظاهرة يساهم بنصيب كبير في ظواهر اجتماعية أخرى لها خطورتها مثل ظاهرة العنف والتطرف والانحراف السلوكي على المدي القريب والبعيد . فالطفل الجانح لن يظل طفلاً بل سيكبر وتكبر معه انحرافاته السلوكية .

٤ – من الآثار الوخيمة لتلك الظاهرة تفشي الأمراض المعدية بين أفراد المجتمع فالمتشردون ينامون في الشوارع دون رعاية صحية أو اهتمام غذائي ومن ثم يعانون من الأمراض المهلكة والتي تنتقل بدورها إلي محيط المجتمع حيث انهم ليسوا بمعزل عنه .

٥ – إذا كانت الأمة في حاجة إلي طاقات أبنائها لتوظيفها بما يعود بالخير عليها فإن آفة التشرد تتهدد تلك الطاقات وقضي عليها فأطفال اليوم هم شباب الغد . وهم طاقات المجتمع وآماله المرتقبة وركائز بنائه القوية .

المعالجة

إن علاج تلك الظاهرة يكمن في القضاء على أسبابها المباشرة وغير المباشرة التي عرضنا لها في ثنايا البحث ونضيف إلي ما سبق :

أولاً : على المؤسسات الحكومية المعنية بشئون المجتمع ومشكلاته التصدي لتلك الظاهرة بحسم ولا نعني بالتصدى سن القوانين وتحديد اللوائح وإنشاء المؤسسات التربوية فحسب . ما نؤكد عليه هو أن الإهمال والتسيب والسلبية في تلك المؤسسات الخاصة بالجانحين قد حال دون تفعيل الواجب المنوط بها وهو العلاج ومن ثم أصبح التصدى لتلك الظاهرة مجرد أمور شكلية ولا زالت تلك الظاهرة تتفاقم بصورة سيئة تهدد الأمن الاجتماعي

ثانياً : على تلك المؤسسات أن يراجع القائمون عليها ضمائرهم قبل أعمالهم وأن يتفهموا جيداً مدي خطورة تلك الظاهرة وآثارها المدمرة على المجتمع .

ثالثاً : من الحقائق التي أكدتها الدراسات الميدانية أن تفاقم تلك الظاهرة يرجع إلي فشل تلك المؤسسات في معالجة الحدث والأخذ بيده إلي طريق الحياة الطبيعية فما يعانيه الحدث داخل تلك المؤسسات من إهمال في الرعاية الصحية والتربوية والنفسية بل والغذائية أيضاً فضلاً عن قسوة المعاملة . هذه المعاناة تدفع الحدث الجانح إلي الهروب من المؤسسة والعودة ثانية إلي الشارع .

رابعاً : يوجد بتلك المؤسسات أفراد تمرسوا على الجريمة يتلقون الحدث الجديد ويحاولون إعداده إعداداً جيداً لممارسة الجريمة بأسلوب عملي يتدرب عليه الطفل فيغدوا أكثر خبرة بممارسة الجريمة وتنفيذها وكم من أحداث مارسوا جريمة السرقة أو التسول وهم داخل المؤسسة . يخرج الواحد منهم ساعة من الزمن . ثم يعود وقد اقترف جريمته . وهذا الأمر يستوجب من الأجهزة الحكومية مراقبة تلك المؤسسات مراقبة جادة وإلا فسيظل التشرد متفاقماً ويظل الجنوح مستمراً وبالتالي تتفاقم الظاهرة دون جدوى .

خامساً : لابد أن يساهم المصلحون والدعاة إلي الله في المجتمع بنصيب موفور في علاج تلك الظاهرة والتصدي لأسبابها والعمل الجاد على تلاشيها من خلال خطبهم ومواعظهم الدينية والاجتماعية وإبراز تلك الأسباب بأسلوب يعالج لا يهدد ويضع الدواء إلي جانب الداء .

سادساً : يتحمل المجتمع بأسره المسئولية عن تلك الظاهرة فاختلال الموازين المادية وتفاوت الطبقات وعدم الشعور بالمسئولية تجاه المحتاجين وانعدام التكافل الاجتماعي الذي يعالج مشكلات الفقر . والتصدي للخلافات الزوجية وقطع المشاعر الوجدانية بين أفراد المجتمع وغياب الضمائر واختلال الموازين الأخلاقية ومرد هذه الأمور جميعها يرجع إلي ضعف الوازع الديني في النفوس .

هذا وبالله التوفيق

النتائج

١ – إن الدين الإسلامي هو الحصن المنيع للأسرة يدعم بنيانها ويعمل على تماسكها وينأى بها عن التردى في مزالق الانحرافات السلوكية ويقاوم فيها هواء النفس الجامحة ونزعاتها المحمومة وهو مصدر هدايتها والضابط لأخلاقها وضمائرها .

٢– إن جهل الآباء لأساليب التربية الصحيحة للأبناء يؤثر على العملية التربوية فالقسوة العنيفة والكبت الضاغط يدفع الطفل إلي الجنوح والتشرد وأيضاً أن التدليل المفرط يفقد الطفل ثقته بنفسه ويؤثر على تكوين شخصيته المستقبلية أما الخوف والكبت فهما عاملان يدفعان الطفل إلي التوتر والقلق والاضطراب النفسي وغالباً ما يؤدي ذلك إلي الجنوح والتشرد

٣ – الحرمان العاطفي والتباين في معاملة الأطفال يؤديان إلي نتائج نفسية وسلوكية مدمرة من أبرزها الحقد والكراهية بين الإخوة والعصيان والتمرد وغالباً ما يكون الهروب من البيت النهاية المؤلمة .

٤ – يؤكد الإسلام على القدوة الحسنة في التربية وما لها من أثر يفوق اللوم والنصح ولن تنمي التربية في ظل غياب القدوة الصالحة .

٥ – تهدد الخلافات الزوجية تماسك البنيان الأسري وتفضي إلي جنوح الأطفال وتفاقم ظاهرة التشرد .

٦ – للطلاق آثار وخيمة من أهمها تمزق الوشائج الأسرية وتشرد الأطفال .

٧ – يهدد شبح الفقر المخيف استقرار الأسرة ويؤثر تأثيراً مباشراً في انحرافها السلوكي والإجرامي .

٨ – الأب مسئول عن أفراد أسرته رعاية وتربية فهو رب الأسرة والمسئول عن تصرفاتها والأم أيضاً الحاضنة والمربية وحينما يختل التوازن الأسري وينسلخ كل من الأبوين عن المسئولية التربوية فإنه يؤثر بالسلب على تربية الأولاد وقد فضي بهم إلي التشرد والضياع .

٩ – إن تربية الطفل بواسطة المربية واستغلال أوقات فراغه مع رفقاء السوء وانقطاع الصلة بين الأسرة والمدرسة كلها عوامل تؤثر في سلوك الطفل ودفعه إلي الانحراف السلوكي والتشرد في أغلب الأحيان .

١٠ – تمثل انحرافات الأسرة كالإدمان والسعار الجنسي وممارسة الجريمة معاول هدم للأسرة يمزق وشائجها ويقض بنيانها ويسهم في انتشار الجرائم بين جنبات المجتمع .

١١ – يؤثر التلفاز تأثيراً مباشراً في عقول المشاهدين يرقي بهم أحياناً من خلال ما يبثه من برامج ثقافية واجتماعية ودينية وكثيراً ما يجنح بهم إلي مزالق الانحراف السلوكي ويحفزهم على الانسلاخ من القيم الإنسانية العليا والتردي في هوة المفاسد المهلكة وممارسة الجرائم .

١٢ – يمثل التشرد ظاهرة اجتماعية مضنية وحصاداً سيئاً للتفكك الأسري يقوض بنيان المجتمع ويؤثر في ظهره الحضاري

١٣ – من أسباب تفاقم تلك الظاهرة السيئة سلبية المجتمع بكامل مؤسساته في التصدي لها وفشله في علاجها والمعاملة السيئة للجانحين داخل المؤسسات التربوية .

١٤ – من آثار تلك الظاهرة السيئة ممارسة الجرائم والشذوذ الجنسي والانحرافات السلوكية فضلاً عن الأمراض الناقلة للعدوى .

١٥ – على جميع مؤسسات الدولة داخل المجتمع التصدي لتلك الظاهرة بحسم ومحاولة التعرف على أسباب تفاقمها ووضع الحلول اللازمة للحد منها والقضاء عليها .

الهوامش

١) سورة الرعد آية : ٣٨ .

٢) أصول علمي الجريمة والعقاب ص ٣٣٨ .

٣) الظاهرة الإجرامية ص ٣٣٥ .

٤) كتاب الأمة العدد ٥٨ .

٥) مذكرة السامع لابن جماعة .

٦) علم النفس الاجتماعي ص ١٥٦ .

٧) الإسلام دين الأسرة ص ١٧٦ .

٨) مفهوم التربية ص ٩٧ .

٩) مفهوم التربية ص ٦٩ .

١٠) الدين والحياة ص ٢١٨ .

١١) الجريمة والعقاب ص ٢٨٧ .

١٢) الظاهرة الإجرامية ص ٣٨٣ .

١٣) الظاهرة الإجرامية ص ٣٧٤ .

١٤) الظاهرة الإجرامية ص ٣٣٨ .

١٥) المصدر السابق والصفحة .

١٦) أصول علم الاجتماع ص ٧٣ .

١٧) مجلة الوعي الإسلامي العدد ١٩٨٦ .

١٨) السلوك الإنساني ص ١٨٠ .

١٩) المصدر السابق والصفحة .

٢٠) الدين والحياة ص ٢١٩ .

٢١) أصول علة الجريمة والعقاب ص ٢٩٦ .

٢٢) أيها الولد للغزالي ص ١٩ .

٢٣) تحفة الودود ص ٣٥ .

٢٤) خواطر الإدمان ص ٢١ .

٢٥) المصدر السابق ص ٣٨ .

٢٦) سلسلة مكافحة الإدمان ص ١٩ .

٢٧) الظاهرة الإجرامية ص ٣٧٥.

٢٨) علم الاجتماع ص ٣٨ .

٢٩) علم النفس الاجتماعي ص ٢٤٨ .

أهم المراجع

القرآن الكريم .

١ – السنة النبوية .

٢ – كيف نفهم الأطفال - دكتوره / سناء الخولي ١٩٧٤.

٣ – عوامل الهدم والبناء في المجتمع الإسلامي- د / عبد الرحمن عبد الحميد البر ١٤١٥ هـ – ١٩٩٤ م ز

٤ – دراسات في علم الاجتماع – أ / عمر طلعت زهران – عبد المنعم محمد الشيخ – ١٩٦٢ .

٥ – الدليل الإرشادي للتوعية بمخاطر الإدمان والمخدرات – مركز البحوث الجنائية – ٢٠٠١ .

٦ – لمحات من علم النفس – د / قدري حنفي – ٢٠٠٠ .

٧ – عدوان الأطفال – سبيل أسطالونا ترجمة د / عبد المنعم المليجي مراجعة د / عبد العزيز القوصي طبعة أولي ١٩٥٤ .

٨ – الإسلام عقيدة وشريعة – محمود شلتوت – دار الشروق ١٩٧٤ م .

٩ – مفهوم التربية – نظمي خليل – ١٩٦٦ م .

١٠ – ظاهرة الانحراف عند الشباب أسبابها وعلاجها – د / صلاح أحمد السيد أبو زيد – ٢٠٠٠ .

١١ – علم النفس الاجتماعي – د / مصطفي فهمي – د / محمد علي قطان – ١٩٧٥ م .

١٢ – الدين والحياة – أ . د / محمود عمارة – ١٩٦٢ م .

١٣ – السلوك الإنساني – دكتوره / انتصار يونس – ١٩٦٧ .

١٤ – أصول علم الإجرام والعقاب – د / يسري أنور علي – د / آمال عثمان .

١٥ – الظاهرة الإجرامية – د / أحمد ضياء الدين صلل – ٢٠٠١ .